

زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي سورة الحج

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ
كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ لَّسَعِيرٍ }

فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة:
قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ } والتي تليها [الحج:
12، 13] وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت
بمكة، وهي قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ } إلى آخر
الأربع [الحج: 53-57] وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاثة آيات منها
نزلت بالمدينة: { هَذَانِ خَصْمَانِ } واللذان بعدها [الحج: 20، 22] وقال أبو
سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: { وَبَشِّرِ الْمُخْسِنِينَ }
[الحج: 38] وسائرهما مكية. وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت
بالمدينة، وهي قوله تعالى: { هَذَانِ خَصْمَانِ } إلى قوله تعالى: { لِحَمِيدٍ
{ [الحج: 20، 25]. وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن،
لأن فيها مكيا، ومدنيا، وحضريا، وسفريا، وحربيا، وسلميا، وليليا، ونهاريا،
وناسخا، ومنسوخا.

فأما المكية، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها.

وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين.

وأما الليلي، فمن أولها إلى آخر خمس آيات.

وأما النهاري، فمن رأس خمس آيات إلى رأس تسع.

وأما السفري، فمن رأس تسع إلى اثنتي عشرة.

وأما الحضري، فالرأس العشرين منها، نسب إلى المدينة، لقرب مدته.

قوله تعالى: { اتَّقُوا رَبَّكُمُ } أي: احذروا عقابة { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ }

الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة.

وفي وقت هذه الزلزلة قولان.

أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور. روى عمران بن حصين عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: إن زلزلة الساعة شيء عظيم وقال:

تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرب عز وجل آدم عليه السلام: ابعث

بعثا إلى النار، فذكر الحديث. وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم، فابعث

بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وقرأ الآية. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة: قيامها يعني أنها تقارب قيام الساعة، وتكون معها. وقال الحسن، والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة.

والثاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشراط الساعة، قاله علقمة، والشعبي، وابن جريج. وروى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطير، والوحش، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور، فإذا هي نار تأجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فماتوا. وقال مقاتل: هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فزعا شديداً فيشيب الصغير، وتضع الحوامل.

قوله تعالى: { شَيْءٌ عَظِيمٌ } أي: لا يوصف لعظمه.
قوله تعالى: { يَوْمَ تَرَوُنَّهَا } يعني: { تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ } فيه قولان.

أحدهما: تسلو عن ولدها، وتتركه، قاله ابن قتيبة.
والثاني: تشغل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحة:
ويذهل الخليل عن خليله

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عمير: تذهل برفع التاء وكسر الهاء كل بنصب اللام. قال الأخفش: وإنما قال: مرضعة، لأنه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: مرضع. قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبلية.

قوله تعالى: { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى } وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، وترى بضم التاء. ومعنى سكارى: من شدة الخوف { وَمَا هُمْ بِسُكَارَى } من الشراب،

والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمر بهم، يضطربون اضطراب السكران من الشراب. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: سكرى وما هم بسكرى وهي قراءة ابن مسعود. قال الفراء: وهو وجه جيد، لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى. وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن

السميفع سكارى وما هم بسكارى بفتح السين والراء وإثبات الألف،
{وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} فيه دليل على أن سكرهم من خوف عذابه،
قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ} قال المفسرون: نزلت
في النضر بن الحارث، وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال،
أحدها: أنه كان كلما نزل شيء من القرآن كذب به، قاله ابن عباس،
والثاني: أنه زعم أن الملائكة بنات الله، قاله مقاتل،
والثالث: أنه قال لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان
الدمشقي.

قوله تعالى: {بَغَيْرِ عِلْمٍ} أي: إنما يقوله باغواء الشيطان، لا بعلم {وَيَتَّبِعُ
{ مَا يَسُؤُلُ لَهُ كَلِمَ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ} وقد ذكرنا معنى المرید في سورة
[النساء: 117].

قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ} كتب بمعنى: قضى، والهاء في
عليه وفي تولاه كناية عن الشيطان، ومعنى الآية: قضى على الشيطان
أنه يضل من اتبعه، وقرأ أبو عمران الجوني: كتب بفتح الكاف أنه بفتح
الهمزة فإنه بكسر الهمزة، وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلي،
والضحاك، وابن عمر: إنه فانه بكسر الهمزة فيهما. وقد بينا معنى السعير
في سورة [النساء: 10].

{يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّن لَّبِثٍ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن
نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَحْسَنِ مَسْمَعٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُوًا أَشَدَّكُمْ
وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلٍ لِّعُمْرٍ لِّكَتْلًا يَعْلَمُ مِّن بَعْدِ عِلْمٍ
سَبِيئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا لِمَاءً فَهَتَّثَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِّن
كُلِّ رَوْحٍ بَهِيحٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ لِحَقِّ وَأَنَّهُ يُحْيِي لِمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ
{

قوله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ} يعني: أهل مكة {إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّن
لَّبِثٍ} أي: في شك من القيامة {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} يعني: خلق
آدم {ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ} يعني: خلق ولده، والمعنى: إن شككتكم في بعثكم
فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقا بين
الابتداء والإعادة، فأما النطفة، فهي المنى، والعلقة: دم عبيط جامد،
وقيل سميت علقه لרטوبتها وتعلقها بما تمر به، فإذا جفت فليست علقه،
والمضغة: لحمه صغير، قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنه بقدر ما يمضغ،
كما قيل: غرفة لقدر ما يغرف.

قوله تعالى: {مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ} فيه خمسة أقوال،
أحدها: أن المخلقة: ما خلق سويا، وغير المخلقة: ما ألقته الأرحام من
النطف، وهو دم قبل أن يكون خلقا، قاله ابن مسعود.

والثاني: أن المخلقة: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حيا
لتمام، وغير المخلقة: ما سقط غير حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه،
هذا معنى قول ابن عباس.
والثالث: أن المخلقة: المصورة، وغير المخلقة: غير مصورة، قاله الحسن.
والرابع: أن المخلقة وغير المخلقة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلقة،
وتارة قد صور بعضه، وتارة قد صور كله، قاله السدي.
والخامس: أن المخلقة: التامة، وغير المخلقة: السقط، قاله الفراء،
وابن قتيبة.
قوله تعالى: {لَتُبَيِّنَنَّ لَكُمْ} فيه أربعة أقوال.
أحدها: خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذرون.
والثاني: لنبين لكم في القرآن بدو خلقكم، وتنقل أحوالكم.
والثالث: لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم.
والرابع: لنبين لكم أن البعث حق.
وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة ليبين لكم بالياء.
قوله تعالى: {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ} وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: ويقر بباء
مرفوعة وفتح القاف ورفع الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو اسحاق السبيعي:
ويقر بياء مرفوعة وبكسر القاف ونصب الراء. والذي يقر في الأرحام، هو
الذي لا يكون سقطا، {إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى} وهو أجل الولادة {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا} أبو عبيدة: هو في موضع أطفال والعرب قد تضع لفظ الواحد في
معنى الجميع، قال الله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحریم: 4]
أي: ظهراء، وأنشد:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور

وأنشد أيضا:

في خلقكم عظم وقد شجينا
وقال غيره: إنما قال طفلاً فوحداً، لأن الميم في قوله تعالى: {نُخْرِجُكُمْ}
قد دلت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً.
قوله تعالى: {ثُمَّ لَتَبْلُغُوا} فيه إضمار، تقديره: ثم نعمركم لتبلغوا
أشدكم، وقد سبق معنى الأشد [الأنعام: 153]، {وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّى} من
قبل بلوغ الأشد {وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلٍ لِّعُمُرٍ} وقد شرحناه في
[النحل: 70] ثم إن الله تعالى دلهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض،
فقال تعالى: {وَوَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً} قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة،
ومثله: همدت النار: إذا طفئت فذهبت.

قوله تعالى: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مَاءً} يعني: المطر {هُتَّزَتْ} أي:
تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات إذا ظهر، فهو معنى قوله
تعالى: {وَوَرَبَتْ} أي: ارتفعت وزادت. وقال المبرد: أراد: اهتز نباتها وربا،

فحذف المضاف. قال الفراء: وقرأ أبو جعفر المدني: وربأت بهمزة مفتوحة بعد الباء. فإن كان ذهب إلى الربيثة الذي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط.

قوله تعالى: {وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ} قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن يبهج، أي: يسر، وهو فعيل في معنى فاعل.

قوله تعالى: {ذَلِكَ} قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك كما وصف لكم، والأجود أن يكون موضع ذلك رفعا، ويجوز أن يكون نصبا على معنى: فعل الله ذلك بأنه هو الحق.

قوله تعالى: {وَأَنَّ السَّاعَةَ} أي: ولتعلموا أن الساعة {ءَاتِيَةٌ}.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ * تَأْتِي عِطْفَهُ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الْآدْنِيَا حِزْبٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ}

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ} قد سبق بيانه. وهذا مما نزل في النضر أيضا. والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: {تَأْتِي عِطْفَهُ} العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي. قال الزجاج: ثاني منصوب على الحال، ومعناه: التنوين، معناه: ثانيا عطفه. وجاء في التفسير: أن معناه: لاويا عنقه، وهذا يوصف به المتكبر، والمعنى: ومن الناس من يجادل بغير علم متكبرا.

قوله تعالى: {لِيُضِلَّ} أي: ليصير أمره الي الضلال، فكأنه وإن لم يقدر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، {لَهُ فِي الْآدْنِيَا حِزْبٌ} وهو ما أصابه يوم بدر، وذلك أنه قتل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [يونس: 70] إلى قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} وفي سبب نزول هذه الآية قولان.

أحدهما: أن ناسا من العرب كان يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: نحن على دينك، فإن أصابوا معيشة، ونتجت خيلهم، وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا: هذا دين حق، وإن لم يجر الأمر على ذلك قالوا: هذا دين سوء، فينقلبون عن دينهم، فنزلت هذه الآية هذا معنى قول ابن عباس، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أن رجلاً من اليهود أسلم فذهب بصره وماله وولده، فتشاءم بالإسلام، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقلني، فقال: إن الإسلام لا يقال. فقال: إن لم أصب في ديني هذا خيرا أذهب بصري ومالي وولدي، فقال: يا يهودي: إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب، فنزلت هذه الآية، رواه عطية عن أبي سعيد الخدري.

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ طُمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ لَخَسِرٌ لُّمُيِّنٌ * يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ لَبْعِيدٌ * يَدْعُوا لِمَن صَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ لِمَوْلَىٰ وَلَيْسَ لِعَشِيرَةٍ * إِنْ لِلَّهِ يَدْخُلْ لِدِينٍ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ لِلَّهِ يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ }

قوله تعالى: { عَلَىٰ حَرْفٍ } قال مجاهد، وقتادة: على شك، قال أبو عبيدة: كل شك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم. وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه، فشبه به الشاك، لأنه قلق في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: { فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ } أي: رخاء وعافية { طُمَأَنَّ بِهِ } على عبادة الله { وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ } اختبار بجذب وقلة مال { انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ } أي: رجع عن دينه إلى الكفر. والمعنى انصرف إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر، { خَسِرَ الدُّنْيَا } حيث لم يظفر بما أراد منها، { وَ } خسِرَ { يَخَافُونَ } الآخرة { بَارْتَدَاهُ } عن الدين. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز، ومجاهد، وطلحة ابن مصرف، وابن أبي عمير، وزيد بن يعقوب: خاسر الدنيا بألف قبل السين، وينصب الراء والآخرة بخفض التاء. { يَدْعُو } هذا المرتد، أي: يعبد { مَا لَا يَنْصُرُهُ } إن لم يعبد { وَلَا يَنْفَعُهُمْ } إن أطاعه { ذَلِكَ } الذي فعل { هُوَ الضَّلَالُ لَبْعِيدٌ } عن الحق { يَدْعُوا لِمَن صَرُّهُ } قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو من ضره. وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو من لضره { أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ }، قال: وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون أول الكلام، فقدمت لتجعل في حقها. قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه. فإن قيل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟ فالجواب: أنه لا نفع من قبله أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: { لَيْسَ لِمَوْلَىٰ وَلَيْسَ لِعَشِيرَةٍ } قال ابن قتيبة: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل.

{ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ لِلَّهِ يَهْدِي مَن يُرِيدُ * إِنْ لِدِينٍ ءَامَنُوا وَ لِدِينٍ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ لِنَصْرِي وَ لِمَجُوسَ وَ لِدِينٍ أَشْرَكُوا إِنْ لِلَّهِ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }

قوله تعالى: { مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد، وغطفان، قالوا إنا نخاف أن لا ينصر محمد،

فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود، والى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتسعت، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ } . وفي هاء بنصره قولان.

أحدهما: أنها ترجع على من، والنصر: بمعنى الرزق، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد. قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرتي نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الراعي: إذا أدير الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري أرض عامر والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، رواه التميمي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة. قال ابن قتيبة: وهذه كناية عن غير المذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتباعه، ويخشون أن لا يتم أمره فقال هذه الآية للفريقين. ثم في معنى هذا النصر قولان. أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { فَلَيَمْدُدُ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ } في المراد بالسماء قولان. أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشد حبلًا في سقف بيته، فليختنق به { ثُمَّ لَيَقْطَعُ } الحبل ليموت مختنقا، هذا قول الأكثرين. ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسه لا أنه يفعله، لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم.

والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قدر، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: { ثُمَّ لَيَقْطَعُ } قرأ أبو عمرو، وابن عامر: ثم ليقطع ثم ليقضوا [الحج: 29] بكسر اللام. زاد ابن عامر { وَلَيُوقُوا } [الحج: 29] { وَلَيَطُوقُوا } [الحج: 29] بكسر اللام أيضا. وكسر ابن كثير لام ثم ليقضوا فحسب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم، قال الفراء: من سكن فقد خفف، وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم. قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد.

قوله تعالى: { هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ } قال ابن قتيبة: المعنى: هل تذهبن حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده.

قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ } أي: ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن
و{ أَنْزَلْنَاهُ } يعني: القرآن، وما بعد هذا ظاهر الى قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمُ } أي: يقضي { يَوْمَ لِقَائِهِ } بينهم بإدخال المؤمنين الجنة،
والآخرين النار { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ } من أعمالهم { شَهِيدٌ }.

**{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ
عَلَيْهِ لِعَذَابٍ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }**
قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ } أي: ألم تعلم. وقد
بينا في سورة [النحل: 49] معنى السجود في حق من يعقل، ومن لا
يعقل.

قوله تعالى: { وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ } يعني: الموحدين الذين يسجدون لله.
وفي قوله تعالى: { وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ لِعَذَابٍ } قولان.
أحدهما: أنهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلهم، قاله
مقاتل.

والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أباي السجود، فحق
عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: { وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ } أي: من يشقه الله فما له من مسعدٍ، { إِنَّ
اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } في خلقه من الكرامة والإهانة.

**{ هَذَانِ خَصْمَانِ خْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ
نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ لِحَمِيمٍ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ *
وَلَهُمْ مَّقَامِعٌ مِنْ حديدٍ * كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا
وَدُوقُوا عَذَابَ لَحْرِيقٍ }**

قوله تعالى: { هَذَانِ خَصْمَانِ } اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال.
أحدها: أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي،
وعبيد بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي
ذر.

والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله،
وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا
بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم
كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثالث: أنها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب
الحسن، وعطاء، ومجاهد.

والرابع: أنها نزلت في اختصام الجنة والنار، فقالت النار: خلقتني الله
لعقوبته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، قاله عكرمة.

فأما قوله تعالى: { هَذَا } وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن كثير: هَذَا بِتَشْدِيدِ النُّونِ خَصْمَانِ، فَمَعْنَاهُ: جَمْعَانِ، وَليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: { خُتِّمُوا } ولم يقل: اختصما؛ على أنه قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: اختصما.

وفي خصومتهم ثلاثة أقوال.

أحدها: في دين ربهم، وهذا على القولين الأولين.

والثاني: في البعث، قاله مجاهد.

والثالث: أنه خصام مفاخرة، على قول عكرمة.

قوله تعالى: { قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ } أي: سويت وجعلت لباسا. قال ابن عباس: قمص من نار. وقال سعيد بن جبير: المراد بالنار هاهنا: النحاس. فأما الحميم فهو الماء الحار { يُضْهِرُ بِهِ }. قال الفراء: يذاب به، يقال: صهرت الشحم بالنار. قال المفسرون: يذاب بالماء الحار { مَا فِي بُطُونِهِمْ } من شحم أو معي حتى يخرج من أديبارهم، وتنضج الجلود فتسقط من حره، { وَلَهُمْ مَقَامِعٌ } قال الضحاك: هي المطارق. وقال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها، ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفير لهبها، فلا يستقرون ساعة. قال مقاتل: إذا جاشت جهنم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج، فتلقاهم خزنة جهنم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها. وقال غيره: إذا دفعتهم النار، طنوا أنها ستقذفهم خارجا منها، فتعيدهم الزبانية بمقامع الحديد.

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهَذَا إِلَى اللَّطِيبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَذَا إِلَى صِرْطِ الْحَمِيدِ }

قوله تعالى: و{ لَوْلُؤٌ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ولؤلؤ بالخفض. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: ولؤلؤا بالنصب. قال أبو علي: من خفض، فالمعنى: يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ؛ ومن نصب قال: ويحلون لؤلؤا.

قوله تعالى: { وَهَذَا } أي: أرشدوا في الدنيا { إِلَى اللَّطِيبِ مِنَ الْقَوْلِ } وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه لا إله إلا الله والحمد لله قاله ابن عباس. وزاد ابن زيد: والله أكبر.

والثاني: القرآن، قاله السدي.

والثالث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حكاه الماوردي.

فأما صراط الحميد فقال ابن عباس: هو طريق الإسلام.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِمَسْجِدٍ لِّجَرَامٍ لِّذِي جَعَلْتَهُ
لِلنَّاسِ سَوَاءً لَعَكْفُ فِيهِ وَ لَبَادٍ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ
الْأَلِيمِ }

قوله تعالى: { وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } أي: يمنعون الناس من الدخول
في الإسلام. قال الزجاج: ولفظ يصدون لفظ مستقبل عطف به على
لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفروا: الذين هم كافرون، فكأنه قال: إن
الكافرين والصادقين؛ فأما خبر إن فمحذوف، فيكون المعنى: إن الذين هذه
صفتهم هلكوا.

وفي المسجد الحرام قولان.

أحدهما: جميع الحرم. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: كانوا
يرون الحرم كله مسجداً.

والثاني: نفس المسجد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: { لِّذِي جَعَلْتَهُ لِلنَّاسِ } هذا وقف التمام.

وفي معناه قولان.

أحدهما: جعلناه للناس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعض، هذا على أنه
جميع الحرم.

والثاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومنسكا لحجهم، وهذا على أنه نفس

المسجد. وقرأ إبراهيم النخعي، وابن أبي عبيدة، وحفص عن عاصم: سواءً
بالنصب، فيتوجه الوقف على سواء، وقد وقف بعض القراء كذلك. قال
أبو علي الفارسي: أبدل العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل
لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء. فأما العاكف: فهو
المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا
خرجوا من الحضر إلى الصحراء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: البادي بالياء،
غير أن ابن كثير، وقف بياء، وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ عاصم، وابن عامر،
وحمزة، والكسائي، والمسيبي عن نافع بغير ياء في الحالتين.
ثم في معنى الكلام قولان.

أحدهما: أن العاكف والبادي يستويان في سكنى مكة والنزول بها، فليس
أحدهما أحق بالمنزل من الآخر، غير أنه لا يخرج أحد من بيته، هذا قول ابن
عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة، وأحمد؛
ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام، هذا على أن المسجد: الحرم
كله.

والثاني: أنهما يستويان في تفضيله وحرمة وإقامة المناسك به، هذا قول
الحسن، ومجاهد. ومنهم من أجاز بيع دور مكة، وإليه يذهب الشافعي.
وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم، ويجوز أن يراد نفس المسجد.
قوله تعالى: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ } الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد،
والباء زائدة، كقوله تعالى: { تَنبُتُ بِالدُّهْنِ } [المؤمنون: 20] وأنشدوا:

بواد يمان ينبت الشثُّ صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

المعنى: وأسفله ينبت المرخ؛ وقال آخر:
هن الحرائر لاربات أخمرة سود المحاجر لا يقرآن بالسور

وقال آخر:

نحن بنوا جعدة أرباب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

هذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: { فَرَأَى بِسَمِّ رَبِّكَ } [العلق: 1] { وَهَرَى إِلَيْكَ بِحِدْعِ اللَّخْلَةِ } [مريم: 24] { بِأَيْكُمْ لَمَفْعُونَ } [القلم: 6] { تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِ لَمَوْدَةٍ } [المتحنة: 1] { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا } [الانسان: 6] أي: يشربها؛ وقد تزداد من، كقوله تعالى: { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ } [الذاريات: 57]، وتزداد اللام كقوله تعالى: { لَذِينَ هُمْ * لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } [الاعراف: 154]، والكاف، كقوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: 11]، وعن، كقوله تعالى: { يُخَلِّفُونَ عَنْ أَمْرِهِ } [النور: 63]، وإن، كقوله تعالى: { فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ } [الجمعة: 8]، وإن الخفيفة، كقوله تعالى: { فِيمَا إِنْ مَكَّنَّكُمْ فِيهِ }، [الاحقاف: 26]، وما، كقوله تعالى: { عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِحَّ نَدِيمِينَ } [المؤمنون: 40] والواو كقوله تعالى: { وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَتَدَيَّنُهُ } [الصافات: 104/103].

وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال.

أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة.

والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء.

والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضا.

والخامس: استحلال الحرام تعمدًا، قاله ابن جريج.

فان قيل: هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعله؟

فالجواب من وجهين.

أحدهما: أنه إذا هم بذلك في الحرم خاصة، عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً هم بقتل مؤمن عند البيت، وهو ب عدن أبين، أذاقه الله في الدنيا من عذاب أليم. وقال الضحاك: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض

أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة، كما تضاعف الحسنات. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة؟ فقال لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها؛ وقد جاور جابر بن عبد الله، وكان ابن عمر يقيم بها.

والثاني: أن معنى: ومن يرد: من يعمل. قال ابو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

{ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا مِنَّمْ إِلَهِ فِي
أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَيْتِمْزٍ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
أَمْرًا لِّقَائِمٍ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ }

قوله تعالى: { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ } قال ابن عباس: جعلنا. وقال مقاتل: دللناه عليه. وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن بوانا في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى: { رَدِّفَ لَكُمْ } [النمل: 72] أي: ردفكم. وقد شرحنا كيفية بناء البيت في [البقرة: 129].

قوله تعالى: { أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا } المعنى: وأوحينا إليه ذلك، { وَطَهَّرَ بَيْتِي } حرك هذه الياء، نافع وحفص عن عاصم. وقد شرحنا الآية في [البقرة: 125].

وفي المراد ب القائمين قولان.

أحدهما: القائمون في الصلاة، قاله عطاء، والجمهور.

والثاني: المقيمون بمكة، حكى عن قتادة.

قوله تعالى: { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ } قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال أذن، وعلي البلاغ، فعلا على جبل أبي قبيس، وقال يا أيها الناس: إن ربكم قد بنى بيتا، فحجوه فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك. والأذان بمعنى النداء والإعلام، والمأمور بهذا الأذان، إبراهيم في قول الجمهور، إلا ماروي عن الحسن أنه قال: المأمور به محمد صلى الله عليه وسلم والناس هاهنا: اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور، إلا ما روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: عنى بالناس أهل القبلة.

واعلم أن من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنه قد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداءه. وواحد الرجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاة. وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجا ماشيين،

وحج الحسن بن علي خمسا وعشرين حجة ماشيا من المدينة إلى مكة،
والنجائب تقاد معه. وحج الإمام أحمد ماشيا مرتين أو ثلاثا.
قوله تعالى: {وَعَلَىٰ كُلِّ صَامِرٍ} أي: ركبانا على ضمير من طول السفر.
قال الفراء: ويأتين فعل للنوق. وقال الزجاج: يأتين على معنى الإبل.
وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله، يأتون بالواو.
قوله تعالى: {مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} أي: طريق بعيد. وقد ذكرنا تفسير الفج
عند قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا} [الانباء: 31].
قوله تعالى: {لَيْسَ هَدُوءًا} أي: ليحضرُوا {مَتَّفِعَ لَهُمْ} وفيها ثلاثة أقوال.
أحدها: التجارة، قاله ابن عباس، والسدي.
والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيد بن المسيب، والزجاج في آخرين.
والثالث: منافع الدارين جميعا، قاله مجاهد. وهو أصح، لأنه لا يكون القصد
للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع.
وفي الأيام المعلومات ستة أقوال.
أحدها: أنها أيام العشر، رواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبير عن ابن
عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والشافعي.
والثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري.
والثالث: يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر، ومقسم
عن ابن عباس.
والرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء
الخراساني، والنخعي، والضحاك.
والخامس: أنها خمسة أيام أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن
عباس.
والسادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس. وقيل: إنما
قال معلومات، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها.
قال الزجاج: والذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر، لقوله تعالى:
{عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةٍ [لِلْأَنْعَامِ]}؛ قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن
يكون الذكر المذكور هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدم الواجب
لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار
وتكبير التشريق، لأن الآية عامة في ذلك.
قوله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا} يعني: الأنعام التي تنحر؛ وهذا أمر إباحة.
وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم، فأعلم الله عز وجل أن ذلك
جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدى المتطوع به، فأما دم التمتع
والقران، فعندنا أنه يجوز أن يأكل منه، وقال الشافعي: لا يجوز، وقد روى
عطاء عن ابن عباس انه قال:
من كل الهدى يؤكل، إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر. فأما البائس فهو
ذو البؤس، وهو شدة الفقر.

قوله تعالى: { ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ } فيه أربعة أقوال.
أحدها: حلق الرأس، وأخذ الشارب، وبتف الإبط، وحلق العانة، وقص
الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء
عن ابن عباس.

والثاني: مناسك الحج، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر.
والثالث: حلق الرأس، قاله مجاهد.

والرابع: الشعر، والظفر، قاله عكرمة.

والقول الأول أصح. لأن التفت: الوسخ، والقذارة: من طول الشعر
والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابه. والحاج مغبر شعث لم
يدهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالحلق، والقلم،
وقص الأظفار، ولبس الثياب، ونحو ذلك، فهذا قضاء تفته. قال الزجاج:
وأهل اللغة لا يعرفون التفت إلا من التفسير، وكأنه الخروج من الإحرام
إلى الإحلال.

قوله تعالى: { وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ } وروى أبو بكر عن عاصم: وليوفوا
بتسكين اللام وتشديد الفاء. قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البدن.
وقال غيره: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، فإن الإنسان ربما نذر
أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة،
فالأفضل أن يؤديها بمكة.

قوله تعالى: { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } هذا هو الطواف الواجب، لأنه
أمر به بعد الذبح، والذبح إنما يكون في يوم النحر، فدل على أنه الطواف
المفروض.

وفي تسمية البيت عتيقا أربعة أقوال.

أحدها: لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة. روى عبد الله بن الزبير عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما سمي الله البيت: العتيق، لأن
الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبار قط. وهذا قول مجاهد،
وقتادة.

والثاني: أن معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابن زيد.

والثالث: لأنه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة.

والرابع: لأنه أعتق من الغرق زمان الطوفان، قاله ابن السائب. وقد تكلمنا
في هذه السورة في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا.

{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ خُرِمَتْ إِلَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا
يُنَالِي عَلَيْكُمْ فَجَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَجَنَّبُوا قَوْلَ الزُّورِ * خُتَفَاءَ لِلَّهِ
غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ
تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَفَوَى لِقُلُوبٍ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ }

قوله تعالى: {ذَلِكَ} أي: الأمر ذلك، يعني: ما ذكر من أعمال الحج {وَمَنْ يُعَظِّمِ حُرْمَتِ اللَّهِ} فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيماً لأمر الله. قال الليث: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرمة التفريط فيه.

قوله تعالى: {فَهُوَ} يعني: التعظيم {خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} في الآخرة {وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمُ} وقد سبق بيانها [المائدة: 1] {إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} تحريمه، يعني به: ما ذكر في [المائدة: 3] من المخنقة وغيرها. وقيل: وأجلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرام.

قوله تعالى: {فَوَجْتَبُوا الرَّجْسَ} أي: دعوه جانباً، قال الزجاج: ومن هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في [المائدة: 90]. وفي المراد بقول الزور أربعة أقوال. أحدها: شهادة الزور، قاله ابن مسعود. والثاني: الكذب، قاله مجاهد. والثالث: الشرك، قاله أبو مالك.

والرابع: أنه قول المشركين في الأنعام: هذا حلال، وهذا حرام، قاله الزجاج، قال: وقوله تعالى: {حُتْفَاءَ لِلَّهِ} منصوب على الحال، وتأويله: مسلمين لا ينسبون إلى دين غير الإسلام. ثم ضرب الله مثلاً للمشرك، فقال: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ} إلى قوله: {سَجِيقٌ}، والسجيق: البعيد. واختلفوا في قراءة فتخطفه فقراً الجمهور: فتخطفه بسكون الخاء من غير تشديد الطاء. وقرأ نافع: بتشديد الطاء. وقرأ أبو المتوكل، ومعاذ القاري: بفتح التاء والحاء وتشديد الطاء ونصب الفاء. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني: بكسر التاء والحاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وقرأ الحسن والأعمش: بفتح التاء وكسر الخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان. أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يخر من السماء، قال قتادة.

والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضرر يوم القيامة، بحال الهاوي من السماء، حكاه الثعلبي. قوله تعالى: {ذَلِكَ} أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه {وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ} قد شرحنا معنى الشعائر في [البقرة: 158]. وفي المراد بها هاهنا قولان.

أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها {لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ} قبل أن يسميها صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك،

لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء ابن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها {إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} وهو أن تنحر. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهد مكة؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج. قوله تعالى: {فَأَيُّهَا} يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: فإنه يعني الفعلة {مِن تَقْوَى لِقُلُوبٍ}، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب.

قوله تعالى: {ثُمَّ مَجَّلَهَا} أي: حيث يحل نحرها {إِلَى لُبَيْتٍ} يعني: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأننا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك. **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا سَمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةٍ لِأَنعَمَ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَجِدْ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * لِّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**

قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. فمن فتح أراد المصدر من نسك ينسك، ومن كسر أراد مكان النسك كالمجلس والمطلع. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين {لِّيَذْكُرُوا سَمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةٍ لِأَنعَمَ}، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب. والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة. قوله تعالى: {فَأِلَهُكُمْ إِلَهُ وَجِدْ} أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواء {فَلَهُ أَسْلِمُوا} أي: انقادوا واخلعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في [هود 23] وكذلك الفاظ الآية التي تلي هذه.

{وَلِبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرٍ لِّلَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَذُكُرُوا سَمِ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا لِقَنِيعٍ وَ لِمُعْتَرِّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ إِلَهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْسِنِينَ}

قوله تعالى: { وَ لُبْدُنَ } وقرأ الحسن، وابن يعمر برفع الدال. قال الفراء: يقال: بَدُنٌ وِبْدُنٌ، والتخفيف أجود وأكثر، لأن كل جمع كان واحده على فعلة ثم ضم أول جمعه، خفف، مثل أكمة وأكم، وأجمة وأجم، وخشبة وخشب. وقال الزجاج: البدن منصوبة بفعل مضمر يفسره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البدن؛ وإن شئت رفعتها على الاستئناف، والنصب أحسن، ويقال: بَدُنٌ وِبْدُنٌ وِبْدَنَةٌ، مثل قولك: ثَمَرٌ وِثْمَرٌ وِثْمَرَةٌ؛ وإنما سميت بدنة، لأنها تبذن، أي: تسمن.

وللمفسرين في البدن قولان. أحدهما: أنها الإبل والبقر، قاله عطاء. والثاني: الإبل خاصة، حكاه الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقهاء الأمصار. قال القاضي أبو يعلى: البدنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.

قوله تعالى: { جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } أي: جعلنا لكم فيها عبادة لله، من سوقها إلى البيت، وتقليدها، وإشعارها، ونحرها، والإطعام منها، { لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ } وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة، { فَذَكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْهَا } أي: على نحرها، { صَوَافٍ } وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة: صوافن بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: صوافي بالياء. قال الزجاج: صوافٍ منصوبة على الحال، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف؛ أي: قد صفت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعير ينحر قائما، وهذا الآية تدل على ذلك. ومن قرأ: صوافن فالصافن: التي تقوم على ثلاث، والبعير إذا أرادوا نحره، تعقل إحدى يديه، فهو الصافن، والجميع: صوافن. هذا ومن قرأ: صوافي بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خوالص، أي: خالصه لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحدا. { فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا } أي: إذا سقطت إلى الأرض، يقال: وجب الحائط وجبة، إذا سقط. ووجب القلب وجيبا: إذا تحرك من فرع. واعلم أن نحرها قياما سنة، والمراد بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمر بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: { وَأَطْعِمُوا بُقِينَ وَ لُبْدُنَ } وقرأ الحسن: والمعتر بكسر الراء خفيفة. وفيهما ستة أقوال.

أحدها: أن القانع: الذي يسأل، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، واختاره الفراء. والثاني: أن القانع: المتعفف، والمعتر: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ويلم بك ولا يسأل، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، وهذا مذهب القرظي. فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي. ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده. والرابع: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتر بهم من غير أهل مكة، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: القانع: الجار وإن كان غنيا، والمعتر: الذي يعتر بك، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: القانع: المسكين السائل، والمعتر: الصديق الزائر، قاله زيد ابن أسلم. قال ابن قتيبة: يقال: قنع يقنع قنوعا: إذا سأل، وقنع يقنع قناعة: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعترني واعتراني وعتراني. وقال الزجاج: مذهب أهل اللغة أن القانع: السائل، يقال: قنع يقنع قنوعا: إذا سأل، فهو قانع، قال الشماخ: لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع

أي: من السؤال؛ ويقال: قنع قناعة: إذا رضي، فهو قنع، والمعتر والمعترى واحد.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ} أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة {سَجَّرْنَا لَكُمْ} {نِعْمَةٌ مِّنَّا عَلَيْكُمْ لَتَمَكِّنُوا مِّنْ نَّحْرِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَسْنُونِ} {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: لكي تشكروا.

قوله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا} وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عمير، ويعقوب: لن تنال الله لحومها بالتاء {وَلَكِنْ تَنَالُهُ} * {التَّقْوَى} بالتاء أيضا.

سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال المفسرون: ومعنى الآية: لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنما يرفع إليه التقوى؛ وهو ما أريد به وجهه منكم. فمن قرأ تناله التقوى بالتاء، فإنه أنث للفظ التقوى. ومن قرأ: يناله بالياء، فلأن التقوى والتقى واحد. والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحم والدماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يتقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نية صحيحة. قوله تعالى: {كَذَلِكَ سَجَّرْنَا لَكُمْ} قد سبق تفسيره [الحج 37] {لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ} عَلَى مَا هَدَاكُمْ} أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} قال ابن عباس: يعني: الموحدين.

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ* أَذِنَ
لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنِ اللَّهُ عَلَيَّ تَضَرَّهُمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أَخْرَجُوا
مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صُومِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلُوتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو:
يدفع ولولا دفع الله بغير ألف، وهذا على مصدر دفع. وقرأ عاصم، وابن
عامر، وحمزة، والكسائي: إن الله يدافع بألف ولولا دفع بغير ألف، وهذا
على مصدر دافع، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا عائلة المشركين بمنعهم
منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم
الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حربه.
وال خوان فعال من الخيانة، والمعنى: أن من ذكر غير اسم الله، وتقرب
إلى الأصنام بذيبحته، فهو خوان.

قوله تعالى: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا} قرأ ابن كثير، وابن عامر،
وحمزة، والكسائي: أذن بفتح الألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر،
وحفص عن عاصم: أذن بضمها.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة،
والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر التاء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص
عن عاصم: بفتحها. قال ابن عباس: كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أومر
بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية،
وهي أول آية أنزلت في القتال. وقال مجاهد: هم ناس خرجوا من مكة
مهاجرين، فأدركهم كفار قريش، فأذن لهم في قتالهم. قال الزجاج:
معنى الآية: أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا. {بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا} أي:
بسبب ما ظلموا. ثم وعدهم النصر بقوله: {وَإِنِ اللَّهُ عَلَيَّ تَضَرَّهُمْ لَقَدِيرٌ}
ولا يجوز أن تقرأ بفتح إن هذه من غير خلاف بين أهل اللغة، لأن إن إذا
كانت معها اللام، لم تفتح أبدا. وقوله: {إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} معناه:
أخرجوا لتوحيدهم.

قوله تعالى: {وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ} قد فسرناه في [البقرة: 25].
قوله تعالى: {لَهَدَمَتْ} قرأ ابن كثير، ونافع: لهدمت خفيفة، والباقون
بتشديد الدال.
فأما الصوامع، ففيها قولان.

أحدهما: أنها صوامع الرهبان، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد.

والثاني: أنها صوامع الصابئين، قاله قتادة، وابن قتيبة.
فأما البيع، فهي جمع بيعة، وهي بيع النصارى.
وفي المراد بالصلوات قولان.

أحدهما: مواضع الصلوات. ثم فيها قولان.

أحدهما: أنها كنائس اليهود، قاله قتادة، والضحاك، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: قوله تعالى: { وَصَلَّوْا } هي كنائس اليهود، وهي بالعبرانية صلوات.

والثاني: أنها مساجد الصابئين، قاله أبو العالية.

والقول الثاني: أنها الصلوات حقيقة، والمعنى: لولا دفع الله عن

المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصلوات في المساجد، قاله ابن زيد.
فأما المساجد، فقال ابن عباس: هي مساجد المسلمين. وقال الزجاج:

معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنائس،
وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد.

وفي قوله: { يُذَكَّرُ فِيهَا } اسم الله { قولان.

أحدهما: أن الكناية ترجع إلى جميع الأماكن المذكورات، قاله الضحاك.

والثاني: إلى المساجد خاصة، لأن جميع المواضع المذكورة، الغالب فيها
الشرك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ } أي: من ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: { لِّذِينَ إِنَّمَا مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ } قال الزجاج: هذه صفة

ناصريه. قال المفسرون: التمكين في الأرض: نصرتهم على عدوهم،

والمعروف لا إله إلا الله، والمنكر الشرك. قال الأكثرون: وهؤلاء أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال القرظي: هم الولاة.

قوله تعالى: { وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } أي: إليه مرجعها، لأن كل ملك يبطل

سوى ملكه.

{ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ

لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ

كَانَ تَكْوِينَهُ * فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

وَيَسِّرُ مَعْطَلَةً وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ }

قوله تعالى: { ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ } أي: بالعذاب { فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِينَهُ } أثبت الياء في

تكبير يعقوب في الحاليين، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى:

كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك؟ والمعنى: أني أنكرت

عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير.

قوله تعالى: { أَهْلَكْتَهَا } قرأ أبو عمرو: أهلكتها بالتاء. والباقون: أهلكتها

بالتون.

قوله تعالى: { غُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ } قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: وبئر مهموز. وروى ورش عن نافع بغير همز، والمعنى: وكم بئر معطلة، أي: متروكة { وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ } فيه قولان. أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال الزجاج: أصل الشيد: الجص والنورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مشيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك، ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضا ليس فيه ساكن.

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىٰ لَمَصِيرٍ }

قوله تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا } قال المفسرون: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام { فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } إذا نظروا آثار من هلك { أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } أخبار الأمم المكذبة { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ } قال الفراء: الهاء في قوله: فإنها عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم. وأما قوله: { لَّتِي فِي الصُّدُورِ } فهو توكيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر، ومثله: { تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ } [البقرة 196] { يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } [الأنعام 38] { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ } [آل عمران 167]. قوله تعالى: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ } قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي. وقال غيره: هو قولهم له: { مَتَىٰ هَذَا لَوْعْدُ } [الملك 25] ونحوه من استعجالهم، { وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، { وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ } أي: من أيام الآخرة { كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } من أيام الدنيا. قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: تعدون بالياء. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي يعدون بالياء. فان قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: وإن يوما عند ربك؟ فعنه جوابان.

أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟ فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء.

والثاني: وإن يوما عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج.

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ لَجَجِيمٍ }

قوله تعالى: { وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } يعني به الرزق الحسن في الجنة.
قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا } أي: عملوا في إبطالها { مُعْجِزِينَ } قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: معجزين بغير ألف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: معاجزين بألف. قال الزجاج: معاجزين. أي: ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يعثون وأنه لا جنة ولا نار، قال: وقيل في التفسير: معاجزين: معاندين، وليس هو بخارج عن القول الأول؛ ومعجزين تأويلها: أنهم كانوا يعجزون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ويشيطونهم عنه.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَ لِقَاسِيَةً لِقُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ لِلَّهِ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ }

قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ } الآية. قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه سورة { التَّجْمُ } قرأها حتى بلغ قوله: { أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَ لُعْرَى * وَمَتَوَةٌ * } لثَلَاثَةَ * { الْأَخْرَى } [النجم 19، 20] فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ فلما سمعت قريش بذلك فرحوا، فاتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا، فنزلت هذه الآية تطيبا لقلبه، وإعلاما له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا. قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله عز وجل: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا لِقُرْءَانٍ وَ لَعُوا فِيهِ } [فصلت 26]. قال: وفي معنى تمنى قولان.

أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا:
تمنى كتاب الله أول ليلة وأخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر:
تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى دواد الزبور على رسل

والثاني:

أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فألقى الشيطان على لسانه كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: { فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ } أي: يبطله ويذهب به { ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ } قال مقاتل: يحكمها من الباطل.

قوله تعالى: { لِيَجْزَلَ } اللام متعلقة بقوله: ألقى الشيطان، والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشك والنفاق. { وَ لِقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ } يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم. والشقاق: غاية العداوة.

قوله تعالى: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي: التصديق بنسخ الله.

قوله تعالى: { أَنَّهُ لِحَقُّ } إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله { فَيُؤْمِنُوا } بالنسخ { فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } أي: تخضع وتذل. ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبار إنما هو بلفظ الله وهدايته.

قوله تعالى: { فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ } أي: في شك. وفي هاء منه أربعة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى قوله تلك الغرائق العلى.

والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة النجم. والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر ألهتنا ثم رجع عن ذكرها؟ والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريج.

والرابع: أنها ترجع إلى الدين، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ } وفيها قولان. أحدهما: القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن.

والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: { أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ } فيه قولان.

أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا: عقم النساء فلا يلدن شبيهاً إن النساء بمثله عقم

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقيل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير. فعلى قول من قال:

هو يوم بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك.
والثاني: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء، قاله ابن جريج.
والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى ابن سلام.

وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان.
أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة.

والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.
{ لَمَلِكٌ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ
التَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فاولئك لهم عَذَابٌ مُهِينٌ * وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِن
اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِن اللَّهُ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ }
قوله تعالى: { لَمَلِكٌ يَوْمَئِذٍ } أي: يوم القيامة { لِلَّهِ } من غير منازع ولا
مدع { يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ } أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما
ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: { وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أي: من مكة إلى المدينة.
وفي الرزق الحسن قولان.

أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس.

والثاني: رزق الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: { ثُمَّ قَاتلُوا أَوْ مَاتُوا } وقرأ ابن عامر: قتلوا بالتشديد.
قوله تعالى: { لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا } وقرأ نافع: بفتح الميم { يَرْضَوْنَهُ } يعني:
الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدرًا، فيكون المعنى: ليدخلنهم إدخالًا
يكرمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. ومدخلًا بفتح الميم
على تقدير: فيدخلون مدخلًا. { وَإِن اللَّهُ لَعَلِيمٌ } بنياتهم { حَلِيمٌ } عنهم.
{ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوفٌ عَقِيمٌ * ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي لَيْلٍ وَأَنَّ
اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ لِحَقِّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
لَبَطِيلٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ لَكَبِيرٌ }

قوله تعالى: { ذَلِكَ } قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمر ما قصصنا
عليكم { وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ } والعقوبة: الجزاء؛ والأول ليس
بعقوبة، ولكنه سمي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كقوله:
{ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } [الشورى 40] لما كانت المجازاة إساءة
بالمفعول به سميت سيئة، ومثله: { اللَّهُ نَخِيفُ بِهِمْ } [البقرة: 15] قاله
الحسن. ومعنى الآية: من قاتل المشركين كما قاتلوه { ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ }
أي: ظلم بإخراجه عن منزله. وزعم مقاتل أن سبب نزول هذه الآية أن

مشركي مكة لقوا المسلمين ليلية بقيت من المحرم، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبوا إلا القتال، فثبت المسلمون، ونصرهم الله على المشركين، ووقع في نفوس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية، وقال: {إِنَّ لِلَّهِ لَعَفُوًّا} عنهم {عَفُورٌ} لقتالهم في الشهر الحرام. قوله تعالى: {ذَلِكَ} أي: ذلك النصر {بِأَنَّ اللَّهَ} القادر على ما يشاء. فمن قدرته أنه {يُولِجُ لَيْلًا فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لدعاء المؤمنين {بَبَصِيرَةٍ} بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتقوى، {ذَلِكَ} الذي فعل من نصر المؤمنين {بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أي: هو الإله الحق {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: يدعون بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالياء، والمعنى: وأن ما يعبدون {مِنْ دُونِهِ هُوَ لَبَاطِلٌ}. {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} * له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد {قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} يعني: المطر {فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً} بالنبات. وحكى الزجاج عن الخليل أنه قال: معنى الكلام التنبيه، كأنه قال: أسمع، أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا. وقال ثعلب: معنى الآية عند الفراء خبر، كأنه قال: أعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح، ولو كان استفهاما والفاء شرطا لنصبه. قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} أي: باستخراج النبات من الأرض رزقا لعباده {خَبِيرٌ} بما في قلوبهم عند تأخير المطر. وقد سبق معنى الغني الحميد في [البقرة 267].

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا رَبًّا} * وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} * وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ} يريد البهائم التي تركب {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} قال الزجاج: كراهة أن تقع. وقال غيره: لئلا تقع {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم. {وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ} بعد أن كنتم نظفا ميتة {ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ} عند آجالكم {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث والحساب {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} يعني: المشرك {لَنِعْمَ اللَّهُ إِذْ لَمْ يُوَحِّدْهُ. لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَدُعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ} * وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}

قوله تعالى: {لَكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا} قد سبق بيانه في هذه السورة [الحج 34] {فَلَا يْتَرَعْنَكَ فِي الْأَمْرِ} أي: في الذبائح، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون: الميتة. فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: فلا ينازعك في الأمر؟ فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلنك فلان، فهو بمنزلة: لا تجادلنه، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربنك فلان وأنت تريد: لا تضربنه، ولكن لو قلت: لا يضاربنك فلان، لكان كقولك: لا تضاربن، ويدل على هذا الجواب قوله: {وَأِنْ جَادَلُوكَ}.

قوله تعالى: {وَوُعِدَ إِلَى رَبِّكَ} أي: إلى دينه والإيمان به. وجادلوك بمعنى: خصموك في أمر الذبائح، {فَقُلْ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} من التكذيب، فهو يجازيكم به. {اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ لِقَائِهِ} أي: يقضي بينكم {فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون وهذا أدب حسن علمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت، ولا يجيبوه، ولا يناظروه.

فصل

قال أكثر المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف. وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم، ثم يجادلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ الْأَرْضِ} هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت، ذلك {إِنَّ ذَلِكَ} يعني: ما يجري في السموات والأرض {فِي كِتَابٍ} يعني: اللوح المحفوظ، {إِنَّ ذَلِكَ} أي: علم الله بجميع ذلك {عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} سهل لا يتعذر عليه العلم به.

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمُنْكَرَ يَكْذِبُونَ يَسْطُونَ الَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَقَاتِبْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ دَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ لَمُصِيراً}

قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ} يعني: كفار مكة {مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا} أي: حجة {وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ} أنه إله، {وَمَا لِلظَّالِمِينَ} يعني: المشركين {مِنْ نَصِيرٍ} أي: مانع من العذاب. {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} يعني: القرآن، وألمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبس الوجوه، معروف عندهم. {يَكْذِبُونَ يَسْطُونَ} أي: يبطشون

ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. { قُلْ } لهم يا محمد: { أَفَأَتَّبِعُكُمْ بِشَرِّ مَن دَلَّكُمْ } أي: بأشد عليكم وأكره اليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: { النَّارُ } أي: هو النار.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِن لَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَا يُتَمَعُّوهُ وَإِن يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِن لِّلَّ لَقَوًى عَزِيزٌ }
قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ } قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟

فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما المعنى: يا أيها الناس ضرب لي مثل، أي: شبهت بي الأوثان { فَاذْكُرُوا } لهذا المثل. وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها؛ ثم بين ذلك بقوله: { إِن لَّذِينَ تَدْعُونَ } أي: تعبدون { مِن دُونِ اللَّهِ }، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وابن أبي عبيدة: يدعون بالياء المفتوحة. وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: يدعون بضم الياء وفتح العين، يعني: الأصنام، { لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا } والذباب واحد، والجمع القليل: أذبة، والكثير: الذبان، مثل: غراب وأغربة وغربان؛ وقيل: إنما خص الذباب لمهانتها واستقذاره وكثرته. { وَلَا يُتَمَعُّوهُ } يعني الأصنام { لَهُ } أي: لخلقه، { وَإِن يَسْأَلْتَهُمُ } يعني: الأصنام؛ قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعران فيجف، فيأتي الذباب فيختلسه. وقال ابن جريج: كانوا إذا طيبوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيء من الحلواء، كالعسل ونحوه، فيقع عليه الذباب فيسلبها إياه، فلا تستطيع الآلهة ولا من عبدها أن يمنعه ذلك. وقال السدي: كانوا يجعلون للآلهة طعاما، فيقع الذباب عليه فيأكل منه، قال ثعلب: وإنما قال: { لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ } فجعل أفعال الآلهة كأفعال آدميين، إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتخاطب، كقوله: { يَا أَيُّهَا النَّمْلُ جُئِلُوا مَسْكِنَكُمْ } [النمل: 18] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: { رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } [يوسف: 4] وقد بينا هذا المعنى في [الأعراف: 191] عند قوله تعالى: { وَهُمْ يُخَلِّقُونَ }.

قوله تعالى: { ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن الطالب: الصنم. والمطلوب: الذباب. رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: الطالب: الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم، والمطلوب: الصنم يطلب الذباب منه سلب ما عليه، روي عن ابن عباس أيضا.

والثالث: الطالب: عباد الصنم يطلب التقرب بعبادته، والمطلوب: الصنم، هذا معنى قول الضحاك، والسدي.

قوله تعالى: { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } أي: ما عظموه حق عظمتهم، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له { إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ } لا يقهر { عَزِيزٌ } لا يرام. **{ اللَّهُ يَضْطَفِي مَنِ لَمَلَيْكَه رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ }**

قوله تعالى: { اللَّهُ يَضْطَفِي مَنِ لَمَلَيْكَه رُسُلًا } كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، { وَمِنَ النَّاسِ } الأنبياء المرسلين، { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } لمقالة العباد { بَصِيرٌ } بمن يتخذه رسولا. وزعم مقاتل ان هذه الآية نزلت حين قالوا: { عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ } [ص:80].
قوله تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } الإشارة إلى الذين أصطفاهم؛ وقد بينا معنى ذلك في آية الكرسي [البقرة: 255].
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا زُكُّوْا وَ سَبِّحُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ فَعَلُوا لِحَيْرٍ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

قوله تعالى: { زُكُّوْا وَ سَبِّحُوا } قال المفسرون: المراد: صلوا، لأن الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود، { وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ } أي: وحدوه { وَ فَعَلُوا لِحَيْرٍ } يريد: أبواب المعروف { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من { لِحَجِّ } واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وعمار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس: أنهم قالوا: في الحج سجدتان، وقالوا: فضلت هذه السورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه. وروي عن ابن عباس انه قال: في { لِحَجِّ } سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وإبراهيم وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك؛ ويدل على الأول ما روى عقبه بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفي { لِحَجِّ } سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما.

فصل

واختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة. وبه قال الشافعي، والثانية: أنها خمس عشرة، فزاد سجدة [ص: 24] وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر الحج وأبدل منها سجدة [ص: 24].

فصل

وسجود التلاوة سنة، وقال أبو حنيفة: واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام، خلافا لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزىء الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزىء.

ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد رضي الله عنه.
وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافا للشافعي.
قوله تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ } في هذا الجهاد ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين.
والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحاك.
والثالث: أنه جهاد النفس والهوى، قاله عبد الله بن المبارك.
فأما حق الجهاد، ففيه ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه الجد في المجاهدة، واستيفاء الإمكان فيها.
والثاني: أنه إخلاص النية لله عز وجل.
والثالث: أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله عز وجل.

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها على قولين.
أحدهما: قوله: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: 286].
والثاني: قوله: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا سَبَّطَعْتُمْ } [التغابن: 16]. وقال آخرون:
بل هي محكمة، ويؤكد القولان الأولان في تفسير حق الجهاد، وهو
الأصح، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها.
قوله تعالى: { هُوَ جُنَّبَكُمْ } أي: اختاركم واصطفاكم لدينه. والحرص:
الضيقة، فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجا بتوبة
أو كفارة أو انتقال إلى رخصة ونحو ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قال:
الحرص: ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه
الامة.

قوله تعالى: { مَلَّةَ أَبِيكُمْ } قال الفراء: المعنى: وسع عليكم كملة أبيكم،
فاذا ألقيت الكاف نصبت، ويجوز النصب على معنى الأمر بها، لأن أول
الكلام أمر، وهو قوله: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم.
فإن قيل: هذا الخطاب للمسلمين، وليس إبراهيم أبا لكلهم.
فالجواب: أنه إن كان خطابا عاما للمسلمين، فهو كالأب لهم، لأن حرمة
وحقه عليهم كحق الولد، وإن كان خطابا للعرب خاصة، فإبراهيم أبو العرب
قاطبة، هذا قول المفسرين. والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم، لأن إبراهيم أبوه، وأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
داخلة فيما خوطب به رسول الله.

قوله تعالى: { هُوَ سَمَّكُمْ لِمُسْلِمِينَ } في المشار إليه قولان.
أحدهما: أنه الله عز وجل، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا
في قوله: { مِنْ قَبْلِ } قولان. أحدهما: من قبل إنزال القرآن سماكم بهذا
في الكتب التي أنزلها. والثاني: من قبل أي: في أم الكتاب، وقوله:
{ وَفِي هَذَا } أي: في القرآن.

والثاني: أنه إبراهيم عليه السلام حين قال: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ } [البقرة: 128] فالمعنى: من قبل هذا الوقت، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقت حين قال: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ }، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: { لِيَكُونَ الرَّسُولُ } المعنى: اجتباكم وسماكم ليكون الرسول، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم { شَهِيداً عَلَيْكُمْ } يوم القيامة أنه قد بلغكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [البقرة: 143] الى قوله: { وَإِذْ أَخَذْنَا }.

قوله تعالى: { وَ عَصِمُوا بِاللَّهِ } قال ابن عباس: سلوه أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره. وقال الحسن: تمسكوا بدين الله. وما بعد هذا مشروح في [الأنفال: 40].